مجلة (لغة – كلام) تصدرعن مخبراللغة والتواصل- جامعة غليزان / الجزائر
ISSN : 2437-0746 / EISSN: 2600-6308
رقم الإيداع: 2015 - 3412
مصنفة ج : قرار1432 بتاريخ 2019/08/13
http://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/176
المجلد 09/ العدد: 02- أفريل (2023) - ص 42- 55

الروابط الحجاجية في بعض النصوص النثرية للإمام الشيخ محمد البشير الإبراهيمي

Interconnections of Arguments in some of Imam Sheikh Mohammed Al-Bashir Al-Ibrahimi's Prose Texts(1965 A.D- 1384 A.H)

بلعباس نصيرة [1]
belabes.nasira@gmail.com
جامعة سيدي بلعباس/ الجزائر[1]

حمو عبد الكريم[2]
hamou.abdelkrim@gmail.com
المركز الوطني للبحث crasc/oran/ الجزائر[2]

تاريخ الاستلام: 2023/02/19 تاريخ القبول: 2023/03/09 تاريخ النشر: 2023/04/05

مُلخص البحث

يهدف هذا المقال إلى البحث في حجاجية خطابات الشيخ الإمام محمد البشير الإبراهيمي، من خلال الوقوف على آلياتها وأدواتها الحجاجية، والكشف عن منهجه في التخاطب وقدرته في التأثير والاستمالة والإقناع، ساعيين في ذلك لاستجلاء نقاط التميز والتفوق البلاغي في استبيان النّصوص واستجلائها في قوالب لغوية ومجازية ضمنية ومعلنة. ولمعرفة الأسس التي اعتمدها في خطاباته وفهم بنياتها، رأينا أنْ نتناول منطلق الحجاج في بعض مقالاته النثرية، حتى يتسنى لنا معرفة آليات خطابه الدّعوي ومرتكزات السلالم الإقناعية عنده، واستقراء ما أمكن من الأمثلة والشواهد من خلال النصوص المختارة.

كلمات مفتاحية: الراوبط الحجاجية، البلاغة والبيان، البشيرالابراهيمي، التأثيروالاقناع

ABSTRACT:

In order to showcase the distinguished competence and rhetorical excellence in clarifying implicit and explicit linguistic templates and metaphor of Sheikh Imam Muhammad al-Bashir Al- Ibrahimi, this article aims to examine Interconnections of Arguments in his preaches and reveal his communicative methods and ability to influence, groom and persuade, through analyzing his mechanisms and argumentative tools. Seeking to unveil the methods he adopted in his preaches and to understand their structures, we chose to approach Interconnections of Arguments in some of his speeches, so that we may learn more of the mechanisms of his preaches and his choices of arguments, and extrapolate as many examples and evidence as possible through the selected texts.

Key words: Interconnections of Arguments, rhetoric, Al-Bashir Al-Ibrahimi, influence and persuasion.

[1] المؤلف المرسل: بلعباس نصيرة

1. مقدمة:

إنّ ما يميز الشيخ البشير الابراهيمي هو خطابه الدعوي المصلح، فكان لسانه صارما، ومنطقه حازما في قول الحق والنصح والارشاد، وجل محاضراته كانت تستهدف اصلاح الرّعية وتقديم النصح للساسة وفضح جرم المستدمر الفرنسي آنذاك، وكانت لغته هي السلاح الفتاك الذي يتغلغل في الضمائر ويصور الواقع والأحداث.

ومن هنا تظهر أهمية الخطابة عنده في إحداث "الإقناع"؛ التي ترتكز على عناصر أساسية تهدف هي: الحجج (الحجاج) والأسلوب وترتيب أجزاء الخطبة. وبناء عليه فإنّ الإقناع هو القاسم المشترك بين الحجاج والخطابة، فكونه مؤثر في الخاصة لا يعني اغفلاه شؤون العامة، وهو يجيد النّكتة السّريعة واللّمحة الدّالة، ولهذا نال شهرة في الداخل والخارج[1].

وهذا **توفيق المدني** يشهد للشيخ الابراهيمي التفوق والبراعة في التفوه واتيان الحجة وبراعة اللسان، حيث قال في محفل استقباله بمجمع اللغة العربية بالقاهرة خلفا للشيخ: "الإبراهيمي كان أمة، كان جيلاً، كان عصراً.. يملك فصاحة في اللّسان، وروعة في البيان، وإلمامًا شاملا بلغة العرب، لا تخفى عليه خافية، وملكة في التعبير مدهشة، جعلته يستطيع معالجة أي موضوع، ارتجالا على البديهة، أمّا نثرا يتراوح من سجع الكهان إلى لسان طه حسين، أو نظما من نسج رجال المعلّقات إلى رقّة وسلاسة شعراء العصر الحديث)[2].

والمتفق عليه بين أهل العلم والبيان أنّ الشيخ الابراهيمي طفرة نادرة وأيقونة عجيبة، سلك منهج الأدباء الفطاحل والبلغاء الأكابر، يتصيد اللغة بتخير الملفوظ والمنطوق، ويسكت عن المستكره والطويل والمقعر، ويستعين بالمستعمل والبليغ والمرموز، وكأنك أمام أديب فحل كالجاحظ أو أمام رجل له دراية بأحوال الدنيا كأبي العلاء المعري أو أمام ناظم سابك للشعر كشوقي ومفدي زكرياء... ولهذا يقول عنه الاديب عبد الملك مرتاض:" .. حتّى إنّ الخبير بالأسلوبيّات يدرك بسهولة إذا قرأ نصّا غير معْزُوٍّ إليه، أنّه لمحمد البشير الإبراهيمي، لا لِسَوائه من الكتّاب. وأكبر أَمَارةٍ على عظمة المنزلة الأدبيّة لكاتب من الكتّاب، أنّه حين يغتدي معروفاً بأسلوبه بين الناس فتراهم يقولون: هذا أسلوب فلان، أو شبيه بأسلوبه، إذا حاكاه مُحَاكٍ في الكتابة، كشأن أبي عثمان الجاحظ، وبديع الزمان الهمذاني، وابن الخطيب الأندلسيّ، وسَوائِهم من عماليق البيان العربيّ الآسِر".

فقد شهد له كل من سمعه أو قرأ له أن له قوة الإقناع والقدرة على استمالة المتلقيّ، الأمر الذي يفتح أمامنا باب التساؤل عن سرّ هذه القدرة، ما مرجعيته فيها؟ ومن أين استمدّها؟ وإذا كان عمود الخطابة الحجاجُ، فما أسرار حجاجه؟ ما مقوماته؟

أولا: مفهوم الحجاج:

لما كان الخطاب البشري أساس عملية التّخاطب؛ سعى علماء اللّغة عبر الزمن، للبحث في الحجاج، ومعرفة لغة التخاطب وآليات الكلام، في مُحاولاتٍ منهم لإقامةِ علمٍ قائم لدراسةِ الخَطابةِ بأنواعِها؛ مُركِّزين فيه على وظيفتِها الإقناعيّة، ولابدّ قبل البحث من أن نضبط بعض المفاهيم، والمصطلحات التي يعتمدها الدرس الحجاجي، بما يبسط الفهم، ويقرّب الرؤى.

الحجاج بين اللغة والاصطلاح:

مصطلح الحجاج قديم حديث، أشار إليه قدماء الفلاسفة اليونان في كتبهم، وورد في أحاديث العرب وآثارهم، وقد أعاد الدارسون المحدثون صوغه بما يخدم دراساتهم الحديثة.

أ- لغة:

تكاد تجمع المعاجم العربية في تعريفها للحجاج؛ على ما جاء في لسان العرب لابن منظور(يقال: حاججته أُحاجّهُ حِجاجا ومُحاجّة حتّى حَجَجْتُهُ أي غلبته بالحُجَجِ التي أدليت بها.) والحُجّةُ البرهان؛ وقيل الحُجّة ما دُوفِع بعه الخصم؛ وقال الأزهريّ: الحُجّةُ الوجه الذي يكون به الظّفر عند الخصومة. وهو رجلٌ مِحْجَاجٌ أي جَدِلٌ)[3].

ب_ اصطلاحا:

يعرّف عبد الرحمن العزاوي على أنّه تقديم الحجج والأدلة المؤدية إلى نتيجة معينة، وهو يمثل في إنجاز تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب، وبعبارة أخرى، يتمثل الحجاج في إنجاز متواليات من الأقوال، بعضها هو بمثابة الحجج اللغوية، وبعضها الآخر هو بمثابة النتائج التي تستنتج منها)[4] ، ويرى طه عبد الرحمان أنّه كلّ منطوق به، موجّه إلى الغير بغرض إفهامه مقصودا مخصوصا[5]، ومن هنا فتصوّره للحجاج مبني على أساس وجود نيّة الادّعاء عند المتكلم، ونيّة الاعتراض لدى المتلقي. أمّا بيرلمان(Perelman) فوصفه بأنّه(جعل العقول تذعن وتسلّم لما يطرح عليها من الأقوال، أو يزيد في درجة ذلك الإذعان وذلك التسليم، فأنجع الحجاج وأنجحه ما وفّق في جعل حدّة الإذعان تقوى لدى السامعين بشكل يبعثهم على عمل المطلوب فالحجاج إذا مرتبط بإذعان وتسليم السامع بالأقوال)[6]. فالحجاج بهذه التعاريف هو مقصد خطابي مهم في عملية التواصل، والغرض منه هو تحقيق وظيفة التأثير أو الإقناع أو الحوار[7]، أو المشاركة في المناقشة بالتّشكيك في صحة قضية ما، أو العدول بتفنيدها أو نثبيتها، والهدف الأخير من هذا هو التوصل لغاية مشتركة يكون الرضى والتوافق هو السيد فيها. وقد استعملت مصطلحات مقاربة لمعنى الحجاج كالجدل والمناظرة والاحتجاج، وقد أجمعت معظم المعاجم على أنّ الحجاج مصطلح يقصد به المفاوضة على سبيل الممانعة والمغالبة لإلزام الخصم.

ثانيا: ترسبات الحجاج في الدرس اللغوي:

لم يكن البحث في لغة الخطاب والحجاج وليد العصر الحديث، فجذوره ممتدّة إلى النظرية الكلاسيكية للحجاج البلاغي عند "أرسطو"، حيث اعتَبرَ أرسطو الحِجاجَ نشاطاً خَطابيّاً وبلاغيّاً، يُشكِّلُ الأساسَ لعمليّاتِ الحوار الفَلسفيّ، والجماعيّ[8]، وقد رسمت هذه النظرية الطريق لآراء حديثة، دفعت إلى تأسيس بلاغة جديدة، دعا أصحابها إلى ضرورة التركيز على أليات بلاغية ومنطقية جديدة في الحجاج، يستعملها المتكلم من أجل إقناع مخاطبه[9].

وقد سعى مؤسس النظرية الجديدة "بيرلمان" ومجموعة من فلاسفة القانون؛ النهوض بنظرية الحجاج من منطلق جديد هو الإقناع (فالصور البلاغية ليست صورا فنية وجمالية وتزيينية وظيفتها الإمتاع فقط، كما هو السائد في البلاغة التقليدية، بل هي طبيعة حجاجية وإقناعية بامتياز، ويترتب على هذا أنّ الاستعارة حجاجية وإقناعية ليس إلاّ) [10]. وكما هو ملاحظ فإنّ النظريات الكلاسيكية لم تخرج عن نطاق دراسة الخطاب من وجهة نظر موضوعية، تصب اهتمامها على الفعل الكلامي وحده، والبحث في مدى تأثيره في عملية الإقناع، وفق الاستدلال المنطقي، الأمر الذي جعلها تغفل الدّور الانفعالي للذّات في عملية التّخاطب، والذي اهتمت به وركّزت عليه النظريات الحديثة، (فحقيقة الكلام ليست هي الدخول في علاقة بألفاظ معيّنة بقدر ماهي الدخول في علاقة مع الغير، بمعنى أنّ الذي يحدّد ماهية الكلام إنّما هو "العلاقة التّخاطبيّة"، وليس العلاقة اللّفظية وحدها؛ فلا كلام بغير تخاطب، ولا متكلّم من غير أن يكون له وظيفة المخاطب، ولا مستمع من غير أن تكون له وظيفة المخاطَب)[11].

وهذا ما أكّدته نظرية "الحجاج اللغوي"؛ التي وضع أسسها أوزفالد ديكروO.DUCROT منذ السبعينيات من القرن العشرين، وهي نظرية لسانية، حاولت تجاوز المفهوم التقليدي للحجاج، كما أرسى دعائمه أرسطو، وطوره أنصار البلاغة الجديدة. وتقوم هذه النظريات على أن اللغة تؤدي بالأساس وظيفة حجاجية؛ فالحجاج يعتمد، إضافة إلى الاستدلال العقلي، عوامل التأثير العاطفي وبلاغة شكل الخطاب. إنه من هذا المنظور علاقة بين عملين لغويين لا بين قضيتين، ومن هنا بات بالإمكان فحص مختلف الأساليب والظواهر اللغوية : الدلالية، والصوتية، والتركيبية، والصرفية، والبلاغية.. من منظور حجاجي.

فهي تنطلق (من الفكرة الشائعة التي مؤداها: "أننا نتكلم عامة بقصد التأثير"، وهي تحاول أن تبين أن اللّغة تحمل بصفة ذاتية وجوهرية وظيفة حجاجية، أي أنّ هذه الوظيفة مؤشر لها في بنية الأقوال نفسها، وفي المعنى وكل الظواهر الصّوتية والصّرفية والمعجميّة والتّركيبيّة والدّلاليّة)[12] ، وهدفها الولوج إلى داخل الخطاب؛ للبحث عن الوشائج التي تحكمت في عملية الإنتاج الكلاميّ لذلك الخطاب، واكتشاف منطق اللغة من خلال القواعد الداخلية المتحكّمة في تسلسل الأقوال وتتابعها بشكل متنام.

وكون اللّغة لها وظيفة حجاجية، يعني أن التّسلسلات الخطابية محدّدة لا بواسطة الوقائع faits les المعبر عنها داخل الأقوال فقط، ولكنّها محدّدة أيضا وأساسا بواسطة بنية هذه الأقوال نفسها، وبواسطة

المواد اللّغوية التي تمّ توظيفها وتشغيلها[13]، فهي إذا تتعارض مع مجموعة النظريات الكلاسيكية؛ بمفهومها التقليدي الذي حصر وظيفة اللغة الأساسية في التواصل والإخبار، إذ إنّها ترى أن وظيفة الكلام وظيفة حجاجية، بينما يبقى التواصل وظيفة ثانوية.

ومن هنا هي تُعنى بالوسائل اللغوية الحجاجية التي تتضمنها اللغات الطبيعية، مع دراسة الأهداف الحجاجية، ورصد تأثيرها التداولي على المستمع. ويعني هذا أنّ الأقوال اللغوية تحمل في جوهرها مؤشرات لسانية ذاتية تدلّ على طابعها الحجاجي[14]، ويمكن أن نقف عند الخلاف بين البرهان المنطقي والحجاج الطبيعي من خلال هذين المثالين:

1- الجَزائِرِيُّونَ مُسْلِمُونَ، مُحَمَّد جَزائِرِيّ، إِذاً مُحَمَّد مُسْلِم

2- عَمْرو مِن عائِلَة كَرِيمَة، إِذاً عَمْرو كَرِيم

فالأول قياس منطقي، والثاني حجاج، يؤكد أنّ اللغة الإنسانية حجاجية، بنيتها الداخلية منطقية.

فالحجة هي (عَمْرو مِن عائِلَة كَرِيمَة)، والنتيجة (عَمْرو كَرِيم)، ورابط الحجاج (إذاً).

ثالثا: عناصر الحجاج وآلياته:

هناك ثلاثة أنواع للحجاج، بلاغي، منطقي طبيعي ولساني.

1- الحجاج البلاغي: هو الذي (تصبح فيه الصور البلاغية والمحسنات البديعية من التّقنيات الحجاجية التي تستخدم في الخطاب الحجاجي لإقناع الغير أو استجلاب موافقته ورضاه)[15].

2- الحجاج المنطقي الطبيعي: هو الحجاج المبني على منطق لغوي، يختلف عن المنطق الصوري، القائم على البرهنة والاستدلال، لأنّه منطق رياضي، ويعني ذلك أنّ الخطاب قائم على اللغة الطبيعية، ويتضمن (مجموعة من العمليات الذهنية والمعرفية التي يمكن أن يبنيها المتكلم للسامع في شكل خطاطات تمثيلية منظّمة ليقوم بإعادة بنائها) [16].

3- الحجاج اللساني أو اللغوي: هو الذي يقوم على الحجة والنتيجة ووجود رابط حجاجي؛ كما في المثال التوضيحي الآتي: أَنْت اِجْتَهَدت إِذاً فَأَنْت مِن الناجِحِيْنَ

فأنت اجتهدت هي الحجّة أو الدّليل، وأنت من الناجحين هي النتيجة، وإذا هو الرابط، وهذه الأجزاء الثلاثة تشكل دلالة حجاجية، ويضطلع الحجاج اللساني بمجموعة من التقنيات والوسائل؛ التي تقود عملية التخاطب نحو هدف التأثير والإقناع. ويمكن تقسيم تقنيات الحجاج إلى:

أ- الأدوات اللغوية الصرفة: مثل ألفاظ التعليل، بما فيها الوصل النسبي والتركيب الشرطي، وكذلك الأفعال اللغوية والحجاج بالتبادل والوصل وتحصيل الحاصل.

ب- الآليات البلاغية: مثل تقسيم الكل إلى أجزائه، والاستعارة، والبديع، والتمثيل.

ج- الآليات شبه المنطقية: ويجسدها السلم الحجاجي بأدواته وآلياته اللغوية، ويندرج ضمنه كثير منها، مثل الروابط الحجاجية: لكن، حتى، فضلا عن، ليس، كذا، فحسب، أدوات التوكيد، ودرجات التوكيد، والإحصاءات، وبعض الآليات التي منها الصيغ الصرفية مثل التعدية بأفعال التفضيل، والقياس وصيغ المبالغة[17] ، وينبغي أن نفرق بين صنفين من المؤشرات والأدوات الحجاجية: الروابط الحجاجية(les connecteurs) والعوامل الخارجية (les operateurs).

فالروابط الحجاجية كما هو معروف تربط بين قولين أو بين حجّتين على الأصل (أو أكثر)، وتسند لكل قول دورا محدّدا داخل المنظومة الحجاجية العامة، ويمكن التمثيل للروابط بالأدوات التالية: بل، لكن، حتى، لاسيّما، إذن، لأنّ، بما أنّ، إذ...

أمّا العوامل الحجاجية، فهي لا تربط بين متغيّرات حجاجية (أي بين حجّة ونتيجة أو بين مجموعة حجج)، ولكنّها تقوم بحصر وتقييد الإمكانات الحجاجية التي تكون لقول ما، وتضمّ مقولة العوامل أدوات من قبيل (ربّما، تقريبا، كاد، قليلا، كثيرا، ما...إلاّ، وجلّ أدوات القصر[18].

وتعدّ هذه الروابط أساس بناء هيكل الخطاب من خلال وظائفها الحجاجية التي تتمثل في الرّبط بين الوحدات الدلالية، والتي تبنى على إثرها العلائق المنطقية التي تؤدي إلى تماسك أجزائه، فالرابط الحجاجي هو مورفيم مهم دوره الربط بين وحدتين دلاليتين أو أكثر، وهناك علاقة وطيدة بين الرابط والحجاج، لأن الروابط- كما ذكرن- هو قلب الحجاج، به تتم المحاججة وربط النتائج بأسبابها، فمثلا يحلل الرابط "لأنّ" و"لكن" في الجملة تعليلا يحتاج إلى برهنة، ويفتح باب بيان الحجية، ويحلل مورفيم "إذن" و"عليه" باب النتائج واستخلاص العبر ...الخ، ويمكن للتحليل الحجاجي للروابط أن يوسّع ليشمل روابط جديدة أكثر وضوحا وبيانا.

أمّا العامل الحجاجي فهو كما يحدّده ديكرو بأنّه مورفيم يدخل على المحتوى، يقوم بتغيير الإمكانات الحجاجية لهذا المحتوى؛ أي أنّه لا يحدث تغييرا في القيمة الإخبارية، وإنّما الاختلاف في القيمة الحجاجية.

رابعا: الروابط الحجاجية في مقالات الشيخ البشير الابراهيمي:

تعدّ الراوبط الحجية في النص من الأدوات التي يلجأ إليها المحاجج وهو يمارس الفعل الحجاجي؛ فلا يكاد يستغني عن كلام غيره كلّما اقتضى المقام، وتطلبّ الموقف منه ذلك، ففيها ما يقوّي حجّته، ويعضد دليله، ويقيم الشاهد على صحّة ما يقول، حتى يتسنّى له إفحام الخصم، وإلجامه والتأثير فيه.

نص المقال: العنوان: "العربية فضلها على العلم والمدنية و أثرها في الأمم غير الغربية"

" أيّها الإخْوان ، إن كَثِيراً مِن العُلُوم التِي بَنَيت عَلَيّا الحَضارَة الغَرْبِيَّة لَم تَصْلها إلّا عَليّ طَرِيق اللُّغَة العَرَبِيَّة ، بِإجْماع الباحِثَيْنِ مِنّا وَمِنهُم، وَإنَّ المُنَصِّفيْن مِنهُم ليعترفون لِلُغَة العَرَبِيَّة بِهٰذا الفَضْل عَليّ العلم وَالمَدَنِيَّة ، وَيُوَفُّونَها حَقّها مِن التَمْجِيد وَالإحْتِرام ، وَيَعْتَرِفُونَ لَعُلَماء الإسْلام بِأَنَّهُم أَساتِذتهُم فِيَّ هٰذِهِ العُلُوم؛ عَنهُم أَخَذُوها، وَعَنَّ لُغتهم تَرْجُمُوها، وَإنَّهُم يَحْمَدُونَ لِلدَهْر أَنَّ هَيَّأَ لَهُم مُجاوَرَة المُسْلِمَيْن بِالأَنْدَلُس، وَصِقِلِّيَّة، وَشَمال إفْرِيقِيّا، وَثُغُور الشام، حَتَّى أَخَذُوا عَنهُم ما أَخَذُوا، وَٱقْتَبَسُوا عَنهُم ما ٱقْتَبَسُوا، وَلا يُزال هٰؤُلاءِ المُنْصِفُونَ يُذْكَرُونَ فَضْل مَعاهِد الأَنْدَلُس العَرَبِيَّة، وَمَعاهِد شَمال إفْرِيقِيّا، وَمَعاهِد الشام، عَلِيّ الحَضارَة القائِمَة، وَلا يَزالُونَ يَنْتَهِجُونَ بَعْض المَناهِج الدِراسِيَّة الأَنْدَلُسِيَّة فِيَّ مَعاهِدهم إلَى الآن، وَلا يَزالُونَ يَرِدُونَ كُلّ شَيْء إلَى أَصِلهُ، وَيَعْتَرِفُونَ لِكُلّ فَضِلّ بِفَضْلهُ"[19].

يقرّ الشيخ الإبراهيمي هنا بأفضلية اللغة العربية على العلم، وأثرها البالغ في تمدّن العرب وغيرهم من الأمم، فقد بنت اللغة العربية حضارتها الشامخة البنيان وحدها؛ في حين اشتركت لغات مختلفة الأصول في بناء حضارة الغرب. وقد أشار إلى أهمية الموضوع، وعلميته؛ بحيث يعجز الخائض فيه عن الإحاطة بكلّ دقائقه، وقد برّر تقصيره في الإلمام به بضيق الوقت، وهذا ما دفعه إلى مناقشته بأسلوب اعتمد فيه على الخطابة في الكتابة وليس على البرهان؛ سالكا مسلكا أدبيّا؛ يستمدّ آلياته من الخيال وليس الحقيقة.

1- الروابط الحجاجية في النص:

- **رابط "الواو":**

وهو من الروابط التي تساعد في بناء النص؛ وذلك لربطها المحكم بين الحجج، فنجدها مترامية في ثنايا المقال، تقوم بالوصل بين حجّتين أو أكثر تتلو الواحدة الأخرى، والنص ملئ بهذا الرابط الذي جعل من النص تركيبا واحدة محافظا على وحدته ونظمه ورصه.

- **رابط "حتّى":**

وهو رابط تأتي فيه الحجج متساوية تخدم نتيجة واحدة وفق تركيب عام، توحي للقارئ بختام الفهم والاستعاب.

- **رابط "لكنّ":**

وهذا الرابط تكون فيه الحجّة الأولى معاكسة للثانية، ويتطلب نتيجتين كل واحدة خادمة لحجّتها.

2- العوامل الحجاجية:

- العامل لم- إلاّ:

هذا العامل الحجاجي يفيد القصر بإثبات الحجة، وقد اخترنا منه ما جاء في سياق حديث الشيخ عن اكتفاء اللغة العربية بمفرداتها، وأنّها لم تأخذ عن غيرها من اللغات إلا القليل. قوله عن أخذ العربية عن غيرها من اللغات(لم تستعر من اللغات الأخرى إلاّ قليلا من المفردات) [20].

فبهذا العامل أثبت استعارتها للقليل من ألفاظ اللغات الأخرى.

- العامل إنّما:

هو عامل حجاجي يفيد القصر، ويدلّ على إثبات الحجّة لما بعده، وتتساوى في الدلالة مع القصر بالنفي مع إلاّ، وقد اخترت منها جاء في سياق حديث الشيخ عن فضل العربية في خدمة الإنسانية جمعاء قوله:(إِنّ العَرَبِيَّة لَمَّ تُخدم مَدَنِيَّة خاصَّة بِأَمَة، وَإِنَّما خَدمت المَدَنِيَّة الإِنْسانِيَّة العامَّة) [21].

- العامل "لم":

يعدّ "لم" عاملا حجاجيا يفيد نفي الكلام، كما جاء في حديثه عن قدرة العربية على بناء حضارتها بنفسها جاء قوله:(وَلمَ تَسْتَطِع أَن تَقُوم بِها لُغَة واحِدَة عَلى حِينِ أَنَّ العَرَبِيَّة قامَت وَحَدّها بِبَنّاء حَضارَة شامِخَة البُنْيان)[22].

- العاملان(لو- لما) و(لولا- ل):

ورد العاملان (لو- لما) و(لولا- ل) في النّص بكثرة، وهما يفيدان الافتراض، ومنه ما جاء في حديثه عن فضل العربية على الإنسانية جمعاء:(لَو لَمَّ تَكُن اللُغَة العَرَبِيَّة عالَمِيَّة لَما وَسعت عُلُوم العالَم)[23] ، و(لَوْلا العَرَبِيَّة لضاع عَلى العالَم خَيْر كَثِير) [24].

وبتطبيق السلالم الحجاجية في هذا المقال، نأخذ مثالا من الأمثلة المذكورة بالبحث عن النتيجة والحجة الخادمة لها، والرابط بينها.

ففي مثال الرابط الحجاج لكن، نجد أنّ:

النتيجة1: الكُتُب العِلْمِيَّة وَالفَنِّيَّة تُقَدِّم رَصِيدا لَغَوِيا كَبِيرا

النتيجة2: هٰذِهِ الكُتُب ضاعَت

الرابط الحجاجي (لكن)

الحجة 1: لَو كانَت الكُتُب العِلْمِيَّة وَالفَنِّيَّة مَوْجُودَة لَوجدنا فِيها مِن المُصْطَلَحات ما يَفِي بِحاجتنا

الحجة2: لَكَنَّها ضاعَت

فالرابط الحجاجي يفيد وجود تعارض حجاجي بين ما تقدمه وما تلاه، إذ ما تقدمه يتضمن حجة تخدم نتيجة، وأما ما تلاه فيتضمن حجة تخدم نتيجة مضادة للنتيجة السابقة، ووجه القول هو أنّ الحجّة رقم 01 وهي (وجود الكتب العلمية والفنية) يخدم النتيجة01، وهي (يكفل علما كثيرا).

أما الحجة:2 وهي(الكتب ضاعت) تخدم النتيجة الثانية، وهي (لا يمكن الاستفادة من هذه الكتب)، ومنه فالحجة 02 أقوى من الحجة 01 لأنّها أقرب إلى النتيجة رقم02.

خامسا: الحجج النّصية في المقال:

لا نلمح في هذا المقال حضورا كثيفا للحجج النصيّة، ويعود ذلك بحسب تصريح الشيخ إلى طبيعة موضوعه؛ التي هي في الحقيقة علميّة، وهذا ما لا يدعو إلى استحضار الشواهد، واكتفاء الإمام بالمحاججة باعتماد العناصر اللسانية؛ رغم اقتناعه يقينا بالمرجعية الحجاجية لهذه الشواهد؛ لأنّها تعدّ مصدر تأثير وإقناع، ومع ذلك اخترنا شاهدا قرآنيا وظّفه الشيخ البشير بطريق الاقتباس مثل الشاهد القرآني، بحيث يظهر الشاهد القرآنيّ واضحا في حديثه عن فضل القرآن في إعلام العرب عن الأمم البائدة وحالهم؛ قبل مجيء الإسلام في قوله:(كانت أكثر أموالًا وأعزّ نفراً)[25] ، ولاشكّ أنّ لهذا الاقتباس تأثيرا كبيرا في مخاطبه، فقد نجح في استثمار مقام وصف الأمم، في تصوير شدّة بأسهم، ومع ذلك منعوا من البقاء والخلود، ما زاد في درجة الإقناع في مخاطبه[26]. والشيء المتفق عليه بين البلغاء واللغويين والفصحاء أنّ الاقتباس من القرآن الكريم يعدّ حجة دامغة لا يمكن للعاقل ردّها أو إنكارها، ولجوء الشيخ الابراهيمي إلى الحجاج ينمّ عن ضلوع في حقول علوم العربية وآدابها بشكل كبير.

1- الآليات البلاغية في المقال:

- **الأسلوب:**

يعدّ الأسلوب البلاغي من أكثر الأساليب تأثيرا في المتلقي، لأنه متعلق بتأثره على السامع وجنوحه للخيال والتعبيرات المجازية، فقد يلجأ المحاجج إليه لما فيه من قدرة على استمالة قلبه، وترسيخ الفكرة بعقله، فهو يتميّز بطابع وجداني، يقوّي عملية التواصل بين آليات والمتلقي، وقد أدرك الشيخ أهمية هذا الفن ومستوياته، فجعل منه أداة خادمة لهدف الإقناع، وتفنّن في اختيار الأساليب البلاغية؛ التي تفعّل عملية المحاججة، وبالتالي فالخطاب الحجاجي هو "خطاب موجه، وكل خطاب يهدف إلى الاقناع يكون به بالضورة بعد حجاجي"[27]، ومن هذه الأساليب:

أ - النداء:

يراعي أسلوب النداء في الخطاب عادة أسلوب مطابقة المقال، وعلى إثر ذلك يختار المحاجج الفئة التي يخصّها بالخطاب، وبذلك يختلف المنادى من مقام إلى آخر، وفي هذا المقال كان المقام عقد اجتماع عام لجمعية العلماء المسلمين، وتكليف رئيسها الإمام البشير بإلقاء كلمة في فضل العربية وإلقائها، لتنشر

فيعمّ نفعها السامعين والقارئين. فانطلق الشيخ مخاطبا إخوانه في العربية من الغيورين عليها، ليؤكّد لهم فضلها ويهيب بهم الذّود عنها، فنوّع النداء بين: "أيّها الإخوة" و"أيّها الإخوان"، وهي دلالات اخبارية ابلاغية تدل على حسن الظن بإخوانه واستلطاف قلوبهم.

ب - التأكيد:

يعدّ التّأكيد من الأساليب التي تؤدي وظيفة إقناعية ولا شكّ أنّ التكرار اللفظي من الأساليب الخادمة لهذه الوظيفة؛ فهو يضيف لها قوة وحجّة، ومنه تكراره للفظة "اللغة العربية" "العلم" "المدني" "الحضارة" "القرآن" "الإسلام" وهي محور حجاجه؛ خدمة لهدفه الإصلاحي، وهو إحياء هذه اللغة، وإحياء الدّين الذي ترجمت محاسنه واضطلعت بحمل أسراره.

2- علم البيان:

تنوّعت الصور البلاغية الحجاجية في هذا المقال، حيث اختار منها الشيخ ما يقوّي خطابه، ويحدث التأثير في المتلقي، ومنها:

- **التشبيه:**

يعدّ التشبيه من أقوى أنواع الأساليب البلاغية؛ التي يكثر حضورها في الخطابة؛ لمقدرته على تثبيت الفكرة في ذهن المتلقي، وتقريبها إلى ذهنه، من خلال نقل المفهوم المعنوي إلى معنى مادي يدرك بالحواس، وقد ورد التشبيه في هذا المقال؛ في سياق حديث الشيخ أهمية اللغة في بناء الحضارات الإنسانية، فلولا اللغات لم نتبين من الحضارات ما تبيّناها، وهذا ما ذكره في قوله(...فاللغة من الحضارة جزء لا كالأجزاء، كاللسان من البدن، عضو لا كالأعضاء)[28].

فالحجة البلاغية للتشبيه تكمن في أنّ اللغة جزء من الحضارة، واللسان جزء من البدن؛ أي تشبيه الحجّة وهي أنّ اللغة جزء من الحضارة باللسان من جهة وظيفته، أي تشبيه وظيفة اللغة بوظيفة اللسان كل في مجاله، بشكل فنّي مما يجعل التشبيه يؤدي حجاجيته بشكل فنّي خيالي.

- **الاستعارة:**

حيث اتّخذها حجّة ليفنّد الفكرة المغلوطة؛ التي بثّ من خلال المستشرقون السمّ في العسل، وهي أنّ العرب نقلوا علوم غيرهم نقلا مجرّدا، ولم يزيدو شيئا في التراث الفكري الذي نقلوه.

فقال:(نقلوا ليستقلّوا وليستغلوا ولينتفعوا بثمرة ما نقلوا)[29]، وهي استعارة حجاجية، أفحم بها السّامعين، وكذا ما جاء في حديثه عن تأثير اللغة في تقارب الأمم وتمازج عقلياتهم بفضل الإسلام(فاللغة العربية منذ دخلت في ركاب الإسلام على الأمم التي أظلّها ظلّه، كان سببا في تقارب تفكيرهم، وتشابه عقلياتهم، وتمازج أذواقهم وتوحيد مشاربهم)[30].

- **الكناية:**

هي ألية من آليات تفيد جماليتها في إخفاء المعنى المقصود؛ ممّا يقوي الحجّة أكثر، وقد استعان بها ليؤكّد إنكاره تهمة نقل اللغة العربية للعلوم الأعجمية نقلا مجرّدا، فقال كناية عن الترجمة النقلية(...ملفوفًا من يدٍ إلى يدٍ).

- **البديع:**

لم يغفل الإمام عن دور البديع في عملية الحجاج؛ حيث وظّفة ليدمغ الحجّة، وهذا ما نلمحه في حديثه عن فهم العرب لفكرة أن ينقلوا ثقافات غيرهم بلغتهم إليهم، لا أن ينتقلوا هم إليها فيصيروا تابعين لهم. فحاجج بالطباق المعنوي فقال:(وهذا هو الجزء الضروري في الحياة، الذي إمّا أن تنقله إليك فيكون قوّة فيك، وإمّا أن تنتقل إليه في لغة غيرك، فتكون قوّة لغيرك، وقد تفطّن أسلافنا لهذه الدّقيقة فنقلوا العلم ولم ينتقلوا إليه)[31] ، فحجّته ذكر الفعل وضدّه؛ لترسيخ الفكرة وتحقيق الإقناع.

إنّ البنية الحجاجية لدى الابراهيمي هاهنا؛ هي بنية مترابطة متناغمة تقوم على وحدة واضحة جليّة، نجده يضع للمتلقي حقيقة معينة تتضمن فعلا إقناعيا، وحججا منطقية تختلف باختلاف الموضوع، معتمدا أسلوبا لغويا يتميز بالجودة.

2- علم البديع:

أظهرت هذه المقالة براعة الشيخ في الصّنعة اللفظية، فقد صاغ بعض حديثه مسجوعا[32]؛ في غير تكلّف، وهذا ما تجلّى في حديثه عن معنى العروبة، حيث قال: (أنّها ليست جلدة تسمرّ أو تحمرّ، ولا بلدة، تعمّر أو تقفر، وأنّها ليست جزيرة يحيط بها البحر ولا قلادة تحيط بالنّحر، وأنّها ليست متاعاً مما يرث الوارثون، ولا أرضا ممّا يحرث الحارثون، وإنّما هي خلال وخصال، وهمم تشتقّ عن فعال).

فالمتأمّل في هذه السياقات المسجوعة، يدرك أنّ كلماتها قد نفثت سحرها على المعنى فتجلّى برّاقا؛ يُحدث في السمع طربًا وفي النّفس أثرًا، وإنّ توالها في ترتيب محكم؛ جعل الحجج تتآلف في تنام للوصول إلى النتيجة. فالحجّة الأخيرة (همم تشتقّ عن فعال) هي الأقرب إلى النتيجة من الحجج سابقاتها؛ لأنّها الأقدر على خدمتها.

3- الشاهد الشعري:

كان للشاهد الشعري حضورا بارزا في هذا المقال؛ سواء أكان من الشعر العربي القديم، أم من الحديث؛ نظرا لما يحمله هذا الموروث الفكري من تأثير على السامع العربي، إذ نجده يضمن خطبه من الأبيات ما يناسب سياقه الحجاجي، فكأنّه جزء من نصّ الخطبة، وهذا دليل على براعته الحجاجية. وهنا نعرض ما

جاء في محاججته شباب العرب والإسلام ودعائه لهم بالسّداد، حيث استشهد ببيتين من شعر شوقي الموجّه لشباب النيل، فقال:

أَتَوَجَّه وَإِيّاه أعنِّي، وَإِلَيهِ أَسُوق الحَدِيث، داعِياً لَهُ بِما دَعّا شَوْقِي لِشَباب النَيْل:

إِنْ أَسَأنا لَكَم أَو لَم نُسِيء نَحْنُ هَلْكى فُلّكُم طُول البَقاء

وَمُتَمَنّياً لَهُ ما تَمَنّاهُ لَهُم شَوْقِي :

هَل يَمد الله لَي العَيْش، عَسَى أَن أراكم فِي الفَرِيق السُعَداء[33]

وببيت أبي العلاء المعرّي في اللزوميات مع سياق حديثه عن مفهوم العروبة لما رأى فيه من حجة على ما أراد إقناع الشباب به، وهو ضرورة الوفاء للعروبة، في حفظ خصال وفعال السلف، في عرضه الحجج الدالة على الخصال التي على الشباب العربي التحلي بها، ليؤكّد أنّ مخالفتها خيانة للعروبة.

فقال: كأنّما عناهم المعرّي بقوله:

جَمال ذِي الأَرْض كانُوا فِيَّ الحَياة وَهم بُعْد المَمات جَمّال الكُتُب وَالسَير[34]

فقد أكّد على صحة ما ذهب إليه بهذه الحجّة الشعرية، التي توضّح دور الشباب في تبليغ رسالة السلف، في أكمل وجه.

ونخلص مما تقدّم ذكره؛ أنّ حسن توظيف الإمام البشير الإبراهيمي لحججه واستخدام آليات الحجاج بإحكام، ينمّ عن ذكاء متوقّد، ومهارة كبيرة؛ ما مكّنه من المقدرة على استمالة السامع على اختلاف فئاته، وتنوع مشاربه.

نتائج البحث:

يمكن أن نجمل ما خرجنا به نتائج؛ من تحليلنا لنموذجين من مقالاته، في النقاط الآتية:

- يتمحور حجاج خطابة البشير الإبراهيمي حول تحقيق ثلاثة أهداف حجاجية، تمثل مقومات الأمّة الجزائرية، هي: المحافظة على الهوية الجزائرية، وإصلاح الدين، والمحافظة على اللغة العربية.
- يعدّ الحجاج أساس تقوم عليه الخطابة فهو روحها أي لا يمكن أن تنسلخ عنه.
- بنية الحجاج الإبراهيمي مترابطة متناغمة تقوم على وحدة واضحة جليّة، نجده يضع للمتلقي حقيقة معينة تتضمن فعلا إقناعيا، وحججا منطقية تختلف باختلاف الموضوع، معتمدا أسلوبا لغويا يتميّز بالجودة.
- يتحقق عنصر الحجاج عنده بطريقة آلية، يخضع فيها النتيجة للحجج، وقد ظهر ذلك من خلال المقالتين الموجهتين إلى العرب المسلمين أو إلى الشباب، فقد حاول التأثير في المتلقي باعتماده على شبكة

حجاجية قوية سواء على المستوى المنطقي أو المستوى البلاغي و اللساني؛ الذي يربط بين وحدات النص الحجاجية التي تتحكم فيها تقنية أخرى هي كيف يمكن إثارة الانتباه.

- تنوعت الحجج النصية التي وظفها البشير الإبراهيمي بين الشاهد القرآني والشعر، والبيان والبديع، ونجاح الشيخ يكمن في توجيه حججه النصية وجهة حجاجية تخدم أهدافه، وفق ما يقتضيه المقام.

الاحالات

[1] ينظر: نور الدين بوزناشة: الحجاج في خطب البشير الإبراهيمي، بحث في الحجج النّصيّة، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، ص 114.

[2] ينظر: الشيخ محمد البشير الإبراهيمي بأقلام معاصريه، سلسلة مصابيح، الجزائر،ط2، 2012م، ص44.

[3] ينظر: ابن منظور، لسان العرب: تح:د. خالد رشيد القاضي، مادة حجج، دار الأبحاث، مج 2، ط1، 2008م، ص49

[4] أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج، العمدة في الطبع، الدار البيضاء، ط1، 2006م ص16.

[5] ينظر: طه عبد الرحمن: اللسان والميزان والتكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1 ، 1998م، ص215.

[6] المرجع نفسه، ص 112.

[7] ينظر: عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحي: في ضوء النظرية التداولية، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2003، ط1، ص 12.

[8] كتب اسطوا عدة مقالات في هذا المجال منها: الخَطابة والجدل، التي أوردَها في كتابِه "الخطابة". ينظر: الخطابة، ارسطو طاليس، ترجمة: عبد الرحمان بدوي، وزارة الثقافة والاعلام، العراق.

[9] ينظر: عبد الجليل العشراوي، الحجاج في الخطابة البنيوية، عالم الكتب، الأردن، ط1، 2012، ص 153.

[10] ينظر: طه عبد الرحمن: اللسان والميزان والتكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1 ، 1998م، ص 31.

[11] ينظر: طه عبد الرحمن: اللسان والميزان أو التّكوثر العقلي، ص 215

[12] ينظر: أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج، العمدة في الطبع، الدار البيضاء، ط11، 2006، ص8.

[13] المرجع نفسه، ص16-17.

[14] جميل حمداني: من الحجاج إلى البلاغة الجديدة، أفريقيا الشرق، المغرب 2014 م، ص9- 10

[15] نفسه، ص 13.

[16] نفسه، ص 50.

[17] عباس حشاني: مصطلح الحجاج بواعثه وتقنياته، مجلة المخبر، العدد:09، 2013، الجزائر.

[18] أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج، العمدة في الطبع، الدار البيضاء، ط1، 2006م، ص27.

[19] آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، أحمد طالب الإبراهيمي، ج 1 (1929-1940)، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ط1، ص373

[20] آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، أحمد طالب الإبراهيمي، ص 374 .

[21] المرجع السابق، ص 378.

[22] نفسه، ص 374.

[23] نفسه، ص376

[24] نفسه، ص 376.

[25] آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، أحمد طالب الإبراهيمي، ص 375.

[26] ينظر: باجي بن عودة، الحجاج في خطب الشيخ البشير الابراهيمي- مقاربة تداولية، رسالة دكتوراه، جامعة وهران01، 2017-2018، ص 193.

[27] الحواس المسعودي، البنية الحجاجية في القرآن الكريم، سورة النمل ، مجلة اللغة والآداب، جامعة الجزائر، عدد: 12، 1997، ص 330.

[28] آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، أحمد طالب الإبراهيمي، 375/1.

[29] نفسه، ص 377.

[30] نفسه، ص 378.

[31] نفسه، ص 376.

[32] ينظر: زوبير بوزاغو، التلوينات الحجاجية في مقالات البشير الإبراهيمي، مقاربة لغوية تداولية، رسالة دكتوراه، جامعة سيدي بلعباس، 2017-2018 213.

[33] أحمد شوقي ، الشوقيات، دار الكتاب العربي، بيروت.1 /161.

[34] تقي الدين أبي بكر علي بن عبد الله الحموي، خزانة الأدب وغاية الأرب، دار ومكتبة الهلال – بيروت، ط1، 987، 319/1.